# البنية السردية
## في مَقامة ابن أبي الخِصَال الأندلسي

**د. محمّد عبد الله عبَّاس الشَّال**

**حاصل على دكتوراه في الأدب العربي**
**وعضو الجمعية المصرية للدراسات السردية بجامعة قناة السويس**

**الملخص:**

السرد أحد أهم مكونات العقل الإنساني، ويوجد في كل الأزمنة، والأمكنة، والمجتمعات، فلا يوجد شعب دون سرد. ويمثل السرد أهم مظهر من مظاهر التفكير في التعبير عما يبدعه الإنسان من حكايات، وخرافات، ومقامات، وقصص وغيرها من الأنواع الأدبية التي تحتاج إلى مكون أساسي من مكوناتها الإبداعية، وانطلاقا من هذا التفكير العلمي لعقل الكاتب العربي اختار الباحث "مَقامَة ابن أبي الخِصَال الأندلسي" ودراسة البنية السردية في هذا النص الأدبي الإبداعي.

إننا إذا نظرنا إلى مقامة ابن أبي الخِصَال من الناحية السردية، فإننا نجدها قصة مُحكمة في تأليفها، تتسلسل فيها الأحداث بنظام معين، يُنْبِئُ عن إبداعٍ حقيقيٍّ لكاتب قصة ظهر في القرن السادس الهجري بالأندلس، ولم تكن هذه مُصادفة حقاً، وإنما أراد كاتبنا (وهو إمام الكُتّاب في الأندلس) أن يُظهر هذا النوع من الأدب في صورة يرقى إليها العقل العربي في الأندلس.

وفي هذا البحث نجيب على عدد من الأسئلة:

١- هل يوجد سرد في اللغة العربية ؟

٢- هل المقامة قصة قصيرة أو أنها تشبه الرواية ؟

٣- كيف تظهر عناصر تكوين البنية السردية في المقامة ؟

٤- الظواهر الجمالية والأسلوبية في المقامة ؟

**الكلمات المفتاحيّة:**

الأنواع الأدبية، السرد، حكايات، خرافات، مَقامَة.

# The Narrative Structure in the *Maqāmah of Ibn Abi al-Khisal Andalusian*

Dr. Mohammed Abdullah Abbas Al-Shal
Researcher in Arabic Literature and Criticism
Member of the Egyptian Association for Narrative Sudies
at Suez Canal University

**Abstract:**
Narration is one of the most important components of the human mind. It exists in all times, places, and societies. There is no society without narration. Narration is one of the most important manifestations of expression of human creativity of tales, myths, *maqāmat*, stories and other literary genres that need to be an essential component of the creative components. Based on this scientific thinking of the mind of the Arab writer, the researcher chose to study the narrative structure in this creative literary text, i.e. the *Maqāmah of Ibn Abi al-Khisal Andalusian*.
From the narrative point of view, Ibn Abi al-Khisal's Maqāmah is a well-organized story in its composition, in which events take place in a particular scheme, which indicates the true creativity of its writer who appeared in the sixth century AH in Andalusia. It was not a coincidence, for he (known as "Imam of writers in Andalusia") intended this type of literature to be seen in a form suitable for the Arab mind in Andalusia.
This research answers these questions:
١. Is there narration in Arabic?
٢. Is *maqāmah* a short story or a novel-like genre?
٣. How do elements of the narrative structure appear in *maqāmah*?
٤. What are aesthetic and stylistic features of *maqāmah*?

**Keywords:**
Literary genres, narration, tales, myths, *maqāmah*

## مقدمة:

المقامة فن قصصي من الفنون النثرية في الأدب العربي، "وهي من الظواهر الأدبية العربية القديمة شهرة في العالم العربي"[١]، وقد ظهرت في الأدب العباسي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري على يد بديع الزمان الهمَذَاني (ت/٣٩٨هـ)، ثم انتقلت مقاماته إلى الأندلس"في أواخر عصر سيادة قرطبة، وقد نسج على منوالها ابن شهيد"[٢]، لكنها لم تجد صدى كبيراً من قبل الأدباء في الأندلس.

وفي أوائل القرن السادس الهجري – في المشرق– ظهر أبو محمد القاسم الحريري (ت/٥١٦هـ) بمقاماته التي أُعجب بها الأندلسيون[٣] أشد الإعجاب، فقد أقبل الأدباء على معارضتها أمثال: ابن شرف القيرواني[٤]، وابن

---

١- The Literature of Al-Andalus: María Rosa Menocal, Cambridge University Press, ٢٠٠٠, P: ١٠٩.

٢ – تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين): د/ إحسان عباس، دار الشروق، الأردن، ط٢، ١٩٩٧م، ص: ٢٤٣.

٣ – يرجع السبب في إعجاب كثير من الأندلسيين بمقامات الحريري إلى وجود "الصلة بين بعض الأندلسيين وبين الحريري؛ أمثال: أحمد بن محمد بن خلف الشاطبي، وأبو القاسم بن جهور وغيرهما". يراجع الخبر في: التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار القضاعي البلنسي، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م،٣٣/١، وترجمته رقم (٩٠)، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ٤١٥/١/١-٤١٦، وترجمته رقم (٦١١).

٤ – لابن شرف القيرواني مقامة بعنوان (رسائل الانتقاد)، راجع: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني، تحقيق:د/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م،١٩٦/١/٤-٢١١.

أبي الخِصَال[١]. ولم يكتفوا بذلك، بل شرحها غير واحد مثل محمد بن عبد الله بن ميمون القرطبي(ت/٥٦٧هـ)[٢]، ومحمد بن أحمد بن سليمان المالقي[٣] (ت/٦١٧هـ)، وأحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (ت/٦١٩هـ) [٤]. وقد اهتم أبو عبد الله محمد بن مسعود، المشهور بابن أبي الخِصَال[٥] الغافقي الأندلسي (٤٦٥-٥٤٠هـ/ ١٠٧٣-١١٤٦م) بالكتابة؛ شعراً ونثراً، وكان من بين كتاباته النثرية مقامة[٦] عارض بها المقامة التفليسية والدمشقية للحريري[٧].

---

[١] – للكاتب ابن أبي الخصال مقامة واحدة، وهي التي نعنى بدراستها في هذا البحث، وقد عارض فيها المقامة التفليسية والدمشقية للحريري. يراجع مقامة ابن أبي الخصال في: رسائل ابن أبي الخِصَال، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دارالفكر العربي،دمشق، ط١، ١٩٨٨، ص: ٤٢٠-٤٤٩.

[٢] – المغرب في حلى المغرب:ابن سعيد الأندلسي،حققه وعلق عليه:د/شوقي ضيف،دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م،١١٢/١، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ١٤٧/١.

[٣] – بغية الوعاة للسيوطي ٢٦/١.

[٤] – طبع هذا الكتاب في المكتبة العصرية ببيروت،١٩٩٢م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ويقع في خمسة مجلدات.

٥ – للمزيد حول حياة ابن أبي الخصال وآثاره يراجع: رسائل ابن أبي الخِصَال، ص: ٩ وما بعدها، وأبو عبد الله بن أبي الخصال-رئيس كتاب الأندلس، د.فوزي عيسى، دون دارنشر،١٩٨٩،ص:١٣.

٦ – هذه المقامة هي الوحيدة لابن أبي الخصال في هذا الفن الأدبي، ولم يرد غيرها في المصادر أو المراجع التي ذكرت حياته وأدبه إلا مقامة يقال إنها تنسب إليه، ولكن ابن أبي الخصال تبرأ منها، وهي المقامة القرطبية. للمزيد حول المقامة القرطبية. يراجع: رسائل ومقامات أندلسية: تحقيق: د. فوزي سعد عيسى، منشأة المعارف،الإسكندرية،١٩٨٩م، ص:٣٣، ١٣٩. كما اشتهر ابن أبي الخصال أيضا بكتابة الرسائل الأدبية.

[٧] – تختلف مقامة ابن أبي الخصال عن مقامات الحريري في طولها وميل منشأها إلى أن يجرب قلمه في وصف عدة مقامات...ويحاول أن يعرض براعته في رسم مناظر متعددة يجمعها معا في مقامة واحدة. يراجع: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين):٢٥٣-٢٥٤.اجع المقامة التفليسية والدمشقية للحريري في:شرح مقامات الحريري١٠٥/٤-١٢٢وما بعدها.

والباحث ينظر إلى مقامة ابن أبي الخِصَال على أنها قصة مُحكمة في تأليفها، تتسلسل فيها الأحداث بنظام معين، يُنْبِئُ عن إبداعٍ حقيقيٍّ لكاتب قصة ظهر في القرن السادس الهجري بالأندلس، ولم تكن هذه مُصادفة حقاً، وإنما أراد كاتبنا–وهو إمام الكُتّاب في الأندلس– أن يُظهر هذا النوع من الأدب في صورة يرقى إليها العقل العربي في الأندلس.

**وللإجابة على سؤال "هل يوجد سرد في اللغة العربية؟"**، نقول: **نعم، يوجد سرد في اللغة العربية**، حيث إننا لو قلنا: إنه لا يوجد سرد في العربية، إنما نخطئ القول؛ لأن "السرد يوجد في كل الأزمنة، وكل الأمكنة، وفي كل المجتمعات، يبدأ مع التاريخ أو حتى مع الإنسانية؛ ليس شعب دون سرد"[١].

إن السرد أحد أهم مكونات العقل الإنساني، وأهم مظهر من مظاهر التفكير في التعبير عما يبدعه الإنسان من حكايات، وخرافات، ومقامات، وقصص وغيرها من الأنواع الأدبية التي تحتاج إلى مكون أساسي من مكوناتها الإبداعية، وانطلاقا من هذا التفكير العلمي لعقل الكاتب العربي اختار الباحث عنوان البحث: "**البنية السّردية في مَقامَة ابن أبي الخِصَال الأندلسي**" كبداية لدراسات مستقبلية –إن شاء الله (تعالى)– حول البنية السردية في الأدب العربي والأندلسي؛ شعراً ونثراً.

إننا نتصور دراسة البنية السردية لمقامة ابن أبي الخِصَال الأندلسي تُمثل انطلاقة جديدة أمام الباحثين والدارسين؛ من إعادة النظر في الأعمال الأدبية والنقدية في الأدب العربي القديم، وقراءة النص في إطار التفكير العلمي لنظريات النقد الحديثة، فالسرد كما هو حاضر في الرواية، والقصة، والحكاية،

[١] –النقدالبنيوي للحكاية:رولان بارت،ت:انطوان أبوزيد،منشورات عويدات،بيروت،ط١٩٨٨،١م ص٨٩

والمسرح وغيرها، كذلك حاضر في المَقامَة، فهي قصة كتبت في زمن معين بأسلوب منمق يرقى إلى عصر الكاتب.

**أولا: المقامة:**

**المقامة في اللغة:** المَقامَة بالفتح: المجلس، والجماعةمن الناس، يقول زهير ابن أبي سُلمى[1]:

**وفـــــيهم مقامـــــاتٌ، حِســـــانٌ وجُوهُهـــــا**

**وأندِيَـــــةٌ، ينتابُهـــــا القـــــولُ، والفِعـــــلُ**

وإنما سميت المَقامات، لأن الرجل كان يقومُ في المجلس، فيَحُضُّ على الخير ويُصلح بينَ الناس، ويقال: هو مقامةُ قومهِ، إذا كان يقومُ فيتكلّمُ في الحَضّ على المعروف[2]. يقول العباس بن مرداس[3]:

**فـأَيّي مـا وأيُّـكَ كـانَ شـرًّا فَسِـيقَ إلـى المقامَـةِ لا يَراهَـا**

وجاء في المعجم الوسيط (المَقَامة): هي قصة قصيرة مسجُوعة، تشتمل على عظة أو مُلحة، كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم، والجمع: مقامات، ومقامات الناس: مجالسهم[4]. ومن هنا جاءت المَقامَة على معانٍ متعددة، وهي: المجلس، والجماعة من الناس، والقصة القصيرة المسجُوعة.

**المقامة في الاصطلاح:** عَرّف القلقشندي المقامة: بأنها "في أصل اللغة اسم

---

١ – يراجع: شرح ديوان زُهير بن أبي سُلمى: صنعة أبي العباس ثعلب، قدم له د/حنا نصر الحِتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص: ١٠٦.

٢ – يراجع: المصدر السابق، نفس الصفحة، ولسان العرب: تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة ، مادة (قوم).

٣ – ديوان العباس بن مرداس السليمي، جمعه وحققه:د/ يحيى الجبُّوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩١م ص: ١٦٣.

٤ – المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية،ط٤، ٢٠٠٤م، مادة (قام).

للمجلس والجماعة من الناس، وسُمِّيت **الأُحْدُوثةُ** من الكلام **مَقامةً**، كأنها تُذْكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها"[١]. نلاحظ من التعريف السابق للمقامة أن القلقشندي ذكر لفظ(**الأُحدوثة**)، وهذا اللفظ يدلّ على الأحاديث التي تدور بين الناس، فقد جاء لفظ **الأُحْدُوثة** في المعجم بمعنى: "ما حُدّث به، والأُعجوبة، والحديث المُضحك والخُرافة "[٢].

ونرى أن كلمة "**الأُحدوثة**" فيها دلالة واضحة على أن القلقشندي أول من أشار إلى أن المقامة **حكاية**، ولذا نراه يقول: "إن المقامات مَدارُها جميعُها على **حكايات** تخرج إلى **مَخْلصٍ**، بخلاف المُكاتبات فإنها بحرٌ لا ساحل له: من حيث المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث الأيام، وهي متجددة على عدد الأنفاس"[٣]، فنلاحظ أنه أول من تنبه إلى حاجة الكاتب في مقاماته إلى **مَخْلص** أي: تحتاج إلى **مَخرج** في كل حكاية. كما نلاحظ أنه أول من أطلق عليها أنها (جميعها حكايات)، والحكاية لابد لها من سرد الأحداث بداخلها.

إن الحكاية –كما يذكر **فورستر**– هي الوجه الرئيس للرواية، وهي عبارة عن قصّ أحداث مرتبة في تتابع زمني، وتتميز بأنها تجعل المستمعين يرغبون في معرفة ماذا سيحدث في المستقبل[٤]. ووردت كلمة **(الحَدّوتَة)** في الألفاظ العامية، "وتُطلق على النبذة اليسيرة من الحديث، وربما خصوا **الحَدّوتة** بما يتضمن منها من نكتة أو خُرافة أو أعجوبة، وكلمة "**الحَدّوتة**" عامية محرفة

---

[١] – صبح الأعشى: أبو العباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٩م، ١١٠/١٤.

[٢] – لسان العرب، مادة (حدث)، والمعجم الوسيط، مادة (حدث).

[٣] – صبح الأعشى ١١١/١٤.

[٤] – أركان القصة: ا.م. فورستر، ترجمة: كمال عياد جاد، راجعه: حسن محمود، دار الكرنك، القاهرة، ١٩٦٠، ص:٣٣–٣٩ بتصرف.

من كلمة "**الأُحدوثة** "[١] . والمقامات تُعتبر بالفعل الجنس الأدبي القصصي(Fictional narrative) الأكثر انتشاراً وشعبية، بل إنها تمكنت بالاحتفاظ بمكانتها حتى القرن العشرين[٢].

والمقامة عبارة عن "حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامي، وتحتوي على مغامرات يرويها راوٍ"[٣].

والمقامة عند المستشرق الإنجليزي (رينولد نيكلسون) أشبه بالرواية؛ حيث يمكن اعتبارها سلسله أحداث كالرواية؛ تتألف من حلقات منفصلة في حياه البطل، وهي مزيج من النثر والشعر[٤]. كما أن المقامة عبارة عن "مجموعات من **القصص** المستقلة القصيرة المكتوبة في شكل نثر"[٥].

**والقصة**(Story): "عبارة عن أحداث متسلسلة تتضمن شخصيات، وتتضمن الأحداث: أحداثاً طبيعية وغير طبيعية، وتتدخل الشخصيات من حيث كونها عوامل (تسبب الأحداث)، أو ضحايا، أو منتفعين"[٦].

---

١ – قاموس رد العامي إلى الفصيح الشيخ أحمد رضا ، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م ص١١٣

٢ – مقدمة للأدب العربي: روجر ألن، ترجمة: رمضان بسطاويسي، ومجدي أحمد توفيق، وفاطمة قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص: ٢٧٠.

٣ –الأدب المقارن : د/محمد غنيمي هلال،نهضة مصر، القاهرة،ط٢٠٠٨،٩م، ص: ١٨٠. والمقامة عند الدكتور الطاهر مكي"شبه قصة قصيرة، تدور حول بطل وهميوراوية وهمي أيضا" راجع: القصة القصيرة – دراسات ومختارات : د الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط٨ ١٩٩٩، ص٥٦.

٤ – A Literary History of the Arabs: Reynold A. Nicholson, M.A, New York, ١٩٠٧, P:٣٢٩.

٥ – The Literature of Al-Andalus, P: ١٠٩.

٦ – علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد: يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نَيْنَوَى للنشر والتوزيع ، دمشق، ط١، ٢٠١١م، ص: ٥٢.

إذن **المقامة:** هي قصة قصيرة تمتاز ببنائها السردي، ويلعب الوصف فيها دورا بارزا مهما؛ من حيث وصف المكان، والزمن، والشخوص التي يصفها تارة من الخارج؛ فيصف ملامحها،وأشكالها، وتارة يصفها من الداخل؛ فيغوص في أعماق نفوسها، وفيها عقدة تنعقد وتتأزم، وحلّ، فهي إذن لها بداية ونهاية.

والحق أن سرد حادثة من الحوادث، أو وصف شيء من الأشياء: أمران متشابهان يضعان بين أيدينا المعطيات اللغوية نفسها. وإذن: فالسرد والوصف لا ينفصلان، أو لا يكادان ينفصلان[١].

**ثانيا: البنية السردية:**

**١ – البنية:**

**البنيـــة لغـــة:** البِنْيَـةُ والبُنْيَـةُ: مـا بَنَيْتَـهُ، وهـو البِنَـى والبُنَـى، والبِنْية:الهيئـة التـي بُنِـيَ عليهـا، وأَبنَيْـتُ الرجـلَ: أَعطيتُـه بِنـاءً أَو مـا يَبْتَنـي بـه داره، والبَنْيُ: نقيضُ الهَدْمِ، والبُنْيَةُ، بالضم والكسر: ما بَنَيْتَه[٢]. والبنية في أصلها تدل على التشييد والبناء والتركيب، كما تدل على المجموعات الرياضية[٣].

**البنية في الاصطلاح:**

إذا قلنا: إن ظهور مصطلح (البنية) في الدراسات النقدية الحديثة ارتبط بظهور المنهج البنيوي، هذا لا يعني أن تعبير (البناء) "لا يقتصر ظهور

---

١ – في نظرية الرواية–بحث في تقنية السرد: د/عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ديسمبر ١٩٩٨م، ص: ٢٥٩.

٢ – لسان العرب، مادة (بنى).

٣ –History of Structuralism:François Dosse Translated by Deborah Glassman, Volume I:The Rising Sign,١٩٤٥–١٩٦٦,University of Minnesota Press,London,P: xxii.

استعماله على أصحاب البنيوية، فالمعتاد مثلا أن يُشار إلى الفارق بين بناء العمل الأدبي وحبكته، فالحبكة هي الترتيب السردي للقصة"[١].

وتُعرف البنية بأنها "شبكة العلاقات الحاصلة بين المكونات العديدة للكلّ، وبين كل مكونٍ على حده والكل"[٢]. بمعنى أنها كلٌّ مكونٌ من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه[٣].

**١- السرد ( Narrative ):**

**السرد:** هو أي شيء يُحكى أو يعرض قصة، أكان نصاً أو صورة أو أداء أو خليطاً من ذلك. وعليه فإن الروايات والأفلام والرسوم الهزلية ... الخ هي سرديات[٤]. وقيل: هو الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بَعْضُها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها[٥].

---

[١] – المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة، ومعجم إنجليزي–عربي): د.محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م، ص: ١٠٣–١٠٤.

٢ – قاموس السرديات: جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام، طبع ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص: ١٩١.

٣ –نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص١٢١.

[٤] – يراجع: علم السرد: ٥١–٥٢. ويراجع كذلك:

– A Glossary of Literary Terms: M. H. Abrams, Heinle & Heinle, Printed in the United States of America, ١٩٩٩, Seventh Edition, P:١٧٣.

– A Dictionary of Stylistics: Katie Wales, Published by Routledge ٢٠١٤P:٢٨٢–٢٨٣.

٥ – بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: د/ حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص: ٤٥.

وأيسر تعريف للسرد أنه "مثل الحياة نفسها عالم متطور من التاريخ والثقافة" [١]؛ فالسرد مثل الحياة في تغيرها، يتغير ويتطور حسب كل زمن وكل مكان، يتطور من شعب لآخر، ومن ثقافة لأخرى. ويُعدُّ السرد وسيلة توصيل القصة إلى المستمع أو القارئ، بقيام وسيط بين الشخصيات والمتلقي هو الراوي[٢]. **أما السردية (Narrativity)**، فهي مجموعة الخصائص التي تصف "السرد (Narrative) وتميزه عما ليس كذلك؛ الملامح الشكلية والسياقية التي تجعل من السرد سرداً[٣].

والسردية تُعنى باستنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية، واستخراج النُظم التي تحكمها وتوجّه أبنيتها،وتحدد خصائصها وسماتها... وهي: المبحث

١ –البنيةالسردية في القصةالقصيرة:د.عبدالرحيم الكردي،مكتبة الآداب،القاهرة،ط٣ ٢٠٠٥م ص:١٣

٢ – نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، ترجمة: إبراهيم الخطيب،الشركة المغربية للمتحدين الناشرين،المغرب،ومؤسسةالأبحاث العربية،بيروت،ط١٩٨٢،١م، ص:١٥٣

٣ – قاموس السرديات: ١٣٢.

النقدي الذي يعني بمظاهر الخطاب[١] السردي، أسلوبا، وبناء،ودلالة[٢]، فالسردية تبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي ومروي له[٣].

أما مفهوم **البنية السردية**، فقد تعرض لمفاهيم مختلفة وتيارات متنوعة، فنراه عند فورستر مرادف للحبكة، وعند رولان بارت تعني التعاقب والمنطق أو التتابع والسببية أو الزمن والمنطق في النص السردي. ولا تقوم الكلمات والجمل بأداء الدلالة بصورة مباشرة في البنية السردية، بل تقوم باستخدام الأشياء والأشخاص والزمن والمكان في تركيب صور دالة دلالة نوعية ومفتوحة[٤].

- **البنية السردية والتشكيل الجمالي في المقامة:**

**١- البنية السردية (narrative structure):**

تتكون البنية السردية من الأحداث التي يتم ترتيبها بطريقة معينة، وفقاً للتسلسل الزمني أو السببية[٥]. وذلك من خلال تضافر ثلاثة عناصر هي: السارد/ الراوي، والمسرود/ المروي، والمسرود له/ المروي له[١].

---

١ – الخطاب يُعرف بأنه: "نصّ محكوم بوحدة كلية واضحة، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد، يبلغ رسالة ما ". يراجع: السردية العربية – بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي: د/عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، هامش ص: ٩.

وقيل الخطاب: " هو عملية الإنتاج اللغوي سواء الشفوي أو المكتوب ". يراجع:

– Routledge Dictionary of Language and Linguistics: Hadumod Bussmann و translated and edited by: Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi, London and New York, ٢٠٠٦, P: ١١٠٦.

٢ – السردية العربية:٩، وموسوعة السرد العربي: د/عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م ، ٨/١.

٣ – السردية العربية: ٩.

٤ - البنية السردية في القصة القصيرة: ١٨.

٥ – Routledge Dictionary of Language and Linguistics, P: ٧٨٣.

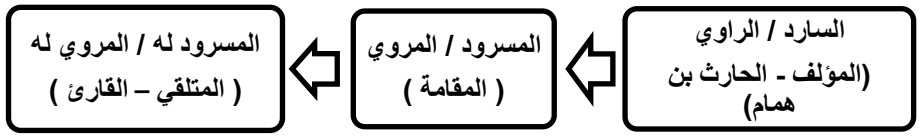


ويُعرف الراوي بأنه " الشخص الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها، سواء كانت حقيقية أم متخيلة"[٢]. ونلاحظ في المقامة التي بين أيدينا – وهو المعتاد في كتابة المقامات – أن المؤلف لا يتكلم بصوته، وإنما يفوض شخصاً خيالياً يتحدث بلسانه، وهو ما أشار إليه ابن أبي الخصال في بداية مقامته وافتتاحه بجملة الاستهلال السردي: " قال الحارث بن همّام"، وتظل هذه العبارة تتردد طوال المقامة؛ ما بين الراوي والبطل، وما بين الراوي والشخصيات الأخرى في المقامة، ويقوم الراوي في المقامة بسرد حكايته. ويرى الباحث أن الراوي هو القناع الذي يتخفى فيه ابن أبي الخصال، ربما في وصف حالته وحوجته؛ وذلك قبل الفتنة الحمدينية وقتله سنة ٥٤٠هـ[٣].

أما المروي، فهي المقامة نفسها؛ بما تحمل من معان وصور وأساليب جمالية. والمروي له: هو المتلقي، أو القارئ، أو حتى الجمهور نفسه.

---

١ - السردية العربية: ١١.

٢ - A Dictionary of Stylistics, P: ٢٨٢.

ويراجع أيضا: السردية العربية: ١١.

٣ - يراجع حول الفتنة ومقتل ابن أبي الخصال: خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب والأندلس): العماد الأصفهاني الكاتب، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، محمد المرزوقي،الدار التونسية للنشر، ط٢، ١٩٨٦م، ٤٤٩/٣ وما بعدها. وللمزيد حول حياته يراجع كتاب رسائل ابن أبي الخصال.

**٢- الشخصيات:**

تمثل الشخصيات عنصرا مهما من عناصر بناء المقامة، وتعد عنصرا أساسيا من عناصر القصة، فنجد هناك شخصيات رئيسة، وشخصيات ثانوية؛ **فالشخصيات الرئيسة:** هي التي تظهر معنا طوال سرد أحداث القصة، وتتمثل في: الراوي وهو الحارث بن همام، والبطل وهو أبو زيد السَّروجي، أمّا عن **الشخصيات الثانوية،** فهي الشخصيات التي تظهر في مشهد أو مشهدين فقط؛ كظهور الفدادين وأهل البلد في بلدة خُناصرة[١]، وأهل الحي الذي يسكن فيه ابن همام، والخَمّام.

**٣- الحوار:**

ينشأ الحوار في هذه المقامة من مجموعة حوارات؛ تمتد بين الحارث بن همام (الراوي)، وأبي زيد السّروجي (البطل)؛ وهذا الأخير أديب مُحتال يعرف كيف يلعب بعقول الناس؛ باستخدام لغته وبلاغته وفصاحته. كما ينشأ الحوار أيضا – ويطول – بين الحارث بن همام والخمّار.

ونلاحظ في المقامة براعة الكاتب في استعراضه المحادثة التي تدور بين الراوي وبين البطل أو غيره في المقامة، وكأن المتلقي حاضر وقت الحديث؛ فنراه تارة يتحدث مع نفسه، في حوار داخلي، فيقول: " لما نضوت ثياب الغرِّ الغُمر، وارتقيت قليلا في دَرَج العمر، وزرَّتْ عليَّ الشريعة جيوبها، وطوّقني الفرائض لُزومها ووجوبها؛ وأسلمني السرُّ إلى الجهر"[٢]، وفي موضع آخر يرتفع صوته، وعندها لا يتملك نفسه، فيخرج من منزله ويصيح في الحي

---

١ – خُناصرة: بلدة في من بلاد الشام. يراجع: الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد عبد المنعم الحِميري، تحقيق: د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص: ٢٢٢.

٢ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٠ وما بعدها.

بصوت مرتفع، وذلك عندما يقرأ الثلاث قصائد التي يتركها له السروجي، وذلك بعد ليلة استأنس بها معه.

**٤- الأحداث:**

تدور أحداث هذه المقامة، وفي إطارها العام، حول بطل يُسمى أبو زيد السروجي، يحتال على الناس ببلاغته وفصاحته؛ في صورة رجل شحّاذ يحتاج إلى مال، يكتشف الحارث أمره واحتياله، ويريد أن يسلب منه ما جمع من أموال. وتقوم أحداث هذه المقامة على سبعة مشاهد تختلف في إطارها الزمني والمكاني من بداية الأحداث وحتى نهايتها على النحو التالي:

**المشهد الأول:** في نهار يوم من الأيام؛ وكان في إحدى القرى الريفية ببلدة **خُنَاصِرة** في الشام، وهناك قد دفع إلى الفدّادين (أهل الفخر والخيلاء)، وفي هذا المكان تمرُّ عليهم سحابة؛ تمطر سريعا ثم تقلع عن ذلك، ونلاحظ أنه كان يقوم بتصوير المشاهد أثناء حديثه، وما يحيط به، بخياله الخصب، في صور بديعية رائعة.

**المشهد الثاني:** في نهاية هذا اليوم وقبل زوال الشمس، يمرُّ الحارث ببيت الحَرِيد (وهو بيت منعزل عن البيوت)، وفيه يقضون أحلى أوقاتهم؛ من سقاة للخمور وطرب ومتع الدنيا، "ولما استقرت الحلقة وارتضّ بنيانها "[١] توسطها شيخ في ثوبه المُرقع، وهو أبو زيد السَّروجي، وقد أشار على الحضور أن ينصتوا إليه، ثم قال: "أيها الجمع الأريض، والسُّؤدد العريض"[٢]، ثم أخذ يمتدح الحضور بكلام عذب ولسان عبقري، "وينمق الشيخ خطبة

[١] – المصدر السابق: ٤٢٢.

[٢] – المصدر السابق: ٤٢٣ وما بعدها.

طويلة في فضائل الكرم والإنعام، وما ينتظر المحسنين من ثواب"[١]، ويحثهم على البرّ والصلة فيقول: "وبادروا بالحسنات قبل فواتها، وانظروا إلى رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها[٢]، ألا واثق بالخلف ألا مقتد بالسلف ..."[٣]. ويمضي الشيخ في كلامه فيستعطف الحضور، ليتلقف منهم الأموال والعطايا.

**المشهد الثالث:** في نهاية هذه الليلة، وقبيل الفجر، في بيت ابن الحارث، وقد تعرف ابن الحارث على هُوية الشيخ السروجي، وأراد أن يختلس منه ما تحصل عليه من أموال، وذلك بعد أن علم حيله وألاعيبه مع الناس، فتتبعه وعرض عليه أن يبيت عنده هذه الليلة، ثم أخذا معاً في الحديث؛ حتى أظهر أبو زيد السَّروجي أنه غلب عليه النوم، وألقي على الحارث نوما أخمد حِسه، وأخذ بنفسه، وعندما استيقظ الحارث في صباح اليوم التالي لم يجد الشيخ في المنزل، ولكنه وجد هناك رقعة بخط يده، فيها ثلاث قصائد، قد تركها له الحارث، يشكره فيها على حسن الضيافة، ويفتخر بفصاحته وبلاغته، فقام مفزوعا، ثم صاح في الحي، واجتمع حوله أهل المدينة. وهنا يتأزم الموقف وتتعقد الأمور، وتبدأ أحداث المقامة تختلف في المكان والزمن والأشخاص.

**المشهد الرابع:** في صباح اليوم التالي، وفي الحي الذي يسكن فيه ابن الحارث، يخرج وعلى وجهه علامات الغضب، وبعد قراءة الثلاث قصائد، اخذ يهتف في الحيّ بصوت مرتفع، واجتمع حوله الناس، ثم سرعان ما يتركهم ويعود ليمتطي صهوة جوّاده، ويذهب بحثا عن السّروجي.

---

[١] – أبو عبد الله بن أبي الخصال – رئيس كتاب الأندلس: ٢٠٢.

[٢] – تأثر هنا بالقرآن الكريم؛ واقتبس من الآية رقم ٥٠ من سورة الروم.

[٣] – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٤ وما بعدها.

**المشهد الخامس:** في الكَرْخِ (بلدةٌ بالعِرَاق)، وهناك يتتبع أخبار السروجي، ويعلم أنه مرّ بهذه البلدة، وفي الليل يذهب إلى الحان، فيسرع وينقضُّ على الخمّار، ثم يدور حوار طويل بينهما.

**المشهد السادس:** في بستان، وهناك يتابع الحديث مع الخمّار، وسط الرياض، والأزهار ... إلخ، في هذه البلدة (مدينة السلام)، وأخذ يعدد في أمراء ووزراء ورجال الدولة ببغداد وغيرهم، ولم يفصح الخمّار للحارث عن مكان السروجي، وهنا يتأزم الوضع سوءاً وتعقيداً، فيلجأ الحارث إلى حيلة من حيله، وهي التفنن في مجاراته بالكلام والإلحاح عليه، ليعرف منه مكان السَّروجي.

ونرى أن تمثيل الكاتب وإطالته الحديث مع الخمار يُعدُّ تشويقاً واهتماما شديدا بالقارئ؛ في معرفة: كيف يصل الحارث إلى مكان السروجي؟ وما الحيلة التي يقوم بها مع الخمار؟، وهنا تتابع الأحداث في صورة متنامية، مما يزيد في نفس المتلقي إثارة ودهشة، وهذه الحبكة جيدة تؤدي إلى نتيجة في نهاية القصة، والوصول إلى السروجي، وعندما يلتقيا الصديقان تنفرج الأزمة وتأتي النهاية في المشهد الأخير.

**المشهد السابع (الأخير):** في الجُبِّ؛ وهو المكان الذي حُبس فيه السروجي، وفيه يجد ابن همام صاحبه "يترنم بهذه الأبيات مَحْزُوناً، ويقرعُ جانب الدّنّ (وعاء الخمر) قرعاً موزونا:

**مثــوايَ فــي الــدَّنِّ مَثْــوى الــدّرِّ فــي الصَــدَفِ**

**والســيفِ فــي الجِفــنِ والإصــباحِ فــي السُّــدَفِ"**[١]

[١] – المصدر السابق: ٤٤٥.

فينادي عليه ابن همام، ويلقي إليه الحبل؛ ويخرجه من البئر، وبعدها يشكره السروجي على ما فعله معه، وهنا يأخذه الراهب إلى الحمّام حتى يفيق، ويأتي إليه ببخور ولباس، ثم يغادروا جميعا إلى المسكن، وهناك يطلب ابن همام من أبي زيد السروجي أن يَذْكُرَه في قافية، فينشئ السروجي قصيدة يشكره فيها ويعترف بحسن صنيعه وجميله.

وينهي كاتبنا مقامته بخاتمة، فيقول: "قال: فأقمتُ وعبَر، وأتممْتُ وقصَر[1]؛ وكانت تلك خاتمة القول، وزاد الحول!"[2]. وتعطي هذه الخاتمة الانطباع بأن السرد، أو المتتالية السردية قد انتهت، وتمنحها وحدة وتماسكاً نهائيين؛ نهاية تولد عند المتلقي شعوراً بالاكتمال والغائية[3].

**٥- الإطار الزمني والمكاني للمقامة:**

إن تنقل الكاتب في مقامته من مكان إلى آخر، وفي أوقات زمنية مختلفة، والتي يتخللها أحداثا متتابعة، متتالية، يمثل نقطة هامة في البنية الأدبية للفضاء الزمني والمكاني في المقامة، حيث تسبح عناصر المقامة في هذا الإطار في بناء الحدث، فنرى الزمن يختلف من بداية النهار وحتى آخره وأول الليل وآخره، فكل وقت له أحداثه ومشاهده المختلفة.

وكذلك الفضاء المكاني، وتحول الكاتب من بلد إلى أخرى، بحثاً عن صاحبه، فنراه يتنقل بين البلدان العربية (شمال شبه الجزيرة العربية) وتحديدا ما بين الشام والعراق، كما نرى الشاعر يصور بعض الأمكنة، فيتكئ في سرده على الصور المتكاملة للمكان، فمثلا يقول: "فبينما نحن بخُناصرة إذ نشأت بحريّة فجعلت تسح ولا تشح، وطفقتْ تُريقُ ولا تستفيق؛ فما أخذت في الذُّهول

[1] – يتحدث عن قصر الصلاة في السفر.

[2] – المصدر السابق: ٤٤٩.

[3] – قاموس السرديات: ١٢٦.

حتى قضَتْ حقّ الوُعور والسهول، ولم تبق للأرض غلة ترتشف بلّه، ثم انجابت عن السماء انجياب الرِّداء، وسالت الأنهار وما متَع النهار: فأفاض الحاضرُ في شُكر من أفاضها"[١].

وفي هذا الإطار السردي، تعد المقامة من النمط السردي، من وجهة نظر الموقع الزمني وحده، نمط السرد المتواقت (المتزامن)؛ وهو الحكاية بصيغة الحاضر المزامن للعمل[٢].

**٦- الظواهر الجمالية والأسلوبية في المقامة:**

لم يكن استخدم ابن أبي الخصال للمحسنات البديعية في مقامته نوعا من الزخرفة اللفظية والهندسة الصوتية فحسب، وإنما ليكسب أسلوبه حلاوة، وموسيقاه إيقاعا عذبا، فالموسيقى "لها سحرها في النثر والشعر، وهي سر العظمة والبراعة"[٣]. فنراه يُكثر من استخدام **السَّجْع** القائم على تنويع الفواصل، وقصر العبارات، وطولها، وتوسطها، ونلمح ذلك في قوله: "فأخذنا في منتقله، وتعاونا على ثقله، فأوردناهُ الجواء، وأودعناه الاحتماء" [٤].

**وجانس** في مقامته بين الكلمات، ليحدث بذلك إيقاعا متجانسا بين الحروف مع ترديد الأصوات، فمثلا يقول: "لما نضوت ثياب **الغِرّ الغَمْر** ... وأسلمني السرُّ إلى **الجهر**، وبرزتُ إلى **الدهر** ... وما زال يسفَعُ **بالناصية**،

---

١ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢١-٤٢٢.

٢ – خطاب الحكاية – بحث في المنهج: جيرار جنيت، ترجمة/ محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص: ٢٣١.

٣ – Rudiments of Criticism: GREENING LAMBORN, Oxford, London, ١٩١٧, P. ٣٠.

٤ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٧.

ويشاقُّ في كلّ **قاصية** ... فجعلت **تسحّ** ولا **تشحُّ**"[١]. واستخدم **الترصِيع**[٢] في مقامته، فمن ذلك يقول: "أمانة غاديكم، وثمرة أياديكم ... حَلُو الحُبَا، وسَلُوا الظُّبى، وتعلَّقُوا بالجياد، وتشوَّفُوا إلى الجِلاد"[٣]. واستخدم **لزوم مالا يلزم**، ونلمح ذلك في قوله: "فقال: الحمد لله الذي أعلن نجواك، وبين شكواك: وعرضني لذمامك، وجعلني موضع إلمامك، فلو بيع رضاك: ببيض النِّعَم، وحُمر النَّعم"[٤].

أما **أسلوب** المقامة، فهو الأسلوب العالي في الكتابة، أسلوب الخاصة دون سواها[٥]، ويتشابه أسلوب ابن أبي الخصال مع أسلوب الحريري في النواحي الأدبية والبلاغية، وإن كان أسلوب ابن أبي الخصال يبدو أكثر وضوحا بالقياس إلى أسلوب الحريري، وذلك لخلوه من الألغاز والأحاجي النحوية والفقهية التي شُغل بها الحريري[٦].

من الخصائص الأسلوبية واللغوية في مقامته أنه استخدم– في مواضع كثيرة– **الجمل والعبارات ثنائية الكلمات**، مما يحدث بينها إيقاعا موسيقيا سريعا، فمن ذلك يقول: "أيها الجمع الأريض، والسُّؤدد العريض، والنَّفر البيض، والنائل المُستفيض: والهمم السامية، والحفائظ الدامية، والسيوف الماضية، واللُّيوث الضارية ..."[٧]. كما استخدم في دقة وحسن اختيار **حروف**

---

[١] – المصدر السابق: ٤٢٠–٤٢١.

٢ – الترصيع: هو أن تكون كلُّ لفظةٍ من ألفاظِ الفصل الأول مساوية لكل لفظةٍ من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية. يراجع: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٧٧/١.

[٣] – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٣٥.

[٤] – المصدر السابق: ٤٤٠.

٥ –تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم):حنّا الفاخوري،دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٦٢٢.

٦ – أبو عبد الله بن ابي الخصال: ٢٢١.

٧ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٣.

**العطف** ، ونلمح ذلك في قوله: " قال: فبينما نحن بخُناصرة إذ نشأت بحريّة، فجعلت تسح ولا تشح، وطفقتْ تُريقُ ولا تستفيق، وتثجم ولا تنجم؛ فما أخذت في الذُّهول حتى قضَتْ حقّ الوُعور والسهول، ولم تبق للأرض غلة ترتشف بلّه، ثم انجابت عن السماء انجياب الرِّداء، وسالت الأنهار وما متَع النهار: فأفاض الحاضرُ في شُكر من أفاضها"[١].

فنلاحظ استخدام الكاتب حرف الفاء في الجملة الأولى (فبينما نحن..)، ويدل ذلك على تعاقب الحدث حال وجوده في بلدته (خُناصرة)، وعطف بالفاء في الجملة الثانية (فجعلت...)؛ ليدل على تعاقب نزول المطر بعد ظهور السحابة مباشرة، وعطف بحرف الواو في الجملة الثالثة (وطفقت...) مما يدل على الجمع واستمرار انصباب المطر من السحاب، وجمع بحرف العطف في الجملة الرابعة (وتثجم ولا تنجم)؛ ليدل على سرعة مطرها وعدم إقلاعها عن المطر. وهكذا كل حرف عطف في المقطوعة يدل على معنى معين يتضح من خلال سرد الأحداث.

كما نلاحظ **اقتباسه** من القرآن الكريم، كموروث ديني يعكس مدى استفادة الكاتب من ألفاظ ومعاني القرآن الكريم في كتاباته، فمن أمثلته قوله: "وما زال يسفعُ بالناصية، ويشاق في كل قاصية "[٢]، فنلاحظ الاقتباس الصريح من قول الله Y: **[كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ]** [٣]. وفي موضع آخر يقول: "وبادروا بالحسنات قبل الفوات، وانظروا إلى رحمة الله كيف يحيي

١ – المصدر السابق: ٤٢١–٤٢٢.

٢ – المصدر السابق: ٤٢١.

٣ – سورة العلق، الآية: ١٥.

الأرض بعد موتها "[1]، فنلاحظ أنه اقتبس من قول الله I: [ **فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ] [2].

أما عن **تضمين** ابن أبي الخصال في مقامته للشعر، فقد جاء على طريقة **حَلُّ الأبيات الشعرية**؛ "وذلك أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر، فينثره بلفظه، من غير زيادة، وقد عده العلماء عيبا فاحشا"[3]، والأمثلة في مقامته كثيرة على ذلك، فمن أمثلته، على سبيل المثال لا الحصر، قوله: " ولكن أين ما وعدت؟ لعلك الغارُّ الغَابن، والتّامِرُ اللابن"[4]، فقد أخذ العبارة من قول الحطيئة[5]:

**أغررْتنـــــي وزَعَمْـــــتَ أنّــكَ لابِــنٌ بالصــيف تــامِرْ**[6]

وفي قوله: "وعلى ذلك فكُلاً استطاب، ومِن كلّ أصاب، وبالأَشْقَين ما كان العِقاب"[7]، حَلٌّ صريح لقول امرئ القيس[8]:

**وقَــاهُمْ جَــدُّهُمْ ببَنِــي أبــيهِمْ وبالأَشْــقَيْن مــا كــانَ العِقــابُ**

وقوله: "ومُتبذّلٍ تبدو محاسِنُه يضُعُ السهامَ مواضِعَ القتل، ويقتادُ القلوب بكُلّ مُغار الفتل"[1]، من قول امرئ القيس[2]:

---

[1] – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٤.

٢ – سورة الروم، الآية: ٥٠.

٣ – المثل السائر ١/ ١٠٣.

[4] – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٦.

٥ – ديوان الحطيئة (برواية وشرح ابن السكيت " ١٨٦–١٤٦هـ")، تحقيق: د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص: ٩١.

٦ –لابِنٌ: ذو لبن. وتامِرٌ: ذو تمر. ووردت كلمة الصيف: الضيف. يراجع: الديوان، نفس الصفحة.

٧ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٦.

٨ –ديوان امرئ القيس،تحقيق:محمدأبو الفضل إبراهيم، دارالمعارف، القاهرة، ط١٩٩٠،٥م،ص١٣٨

**فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجُومَهُ بكلّ مُغارِ الفتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ**[٣]

كما ضمن ابن أبي الخصال أبياتا كاملة في مقامته لشعراء متقدمين، وجاء على قلة، ومن أمثلة ذلك استشهاده ببيتين لزهير بن أبي سلمى[٤]:

**وفيهم مقاماتٌ، حِسانٌ وجُوهُها**
**وأندِيَةٌ، ينتابُها القولُ، والفِعلُ**
**على مُكثرِيهم رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهم**
**وعندَ المُقلّين السَّماحةُ، والبذلُ**

وكذلك قول زُهير بن ابي سلمى[٥]:

**يا حارِ، لا أُرْمَيَنْ منكُم، بِداهِيةٍ**
**لم يَلْقَها سُوقةٌ، قَبلِي، ولا مَلِكُ**[٦]

ومن **تضمينه الأمثال**، وجاء ذلك على كثرة في مقامته، ومن أمثلتها قوله: "ويشُدُّ على تلكَ الأَعلاق بُخلاً ويعقدُ ولا يذكر حَلاًّ"[٧]، فأخذ الكلام من

---

١ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٣٨.

٢ – ديوان امرئ القيس ، ص: ١٩.

٣ – المغار: الشديد الفتل (أي بشيء مفتول كالحبل ونحوه). ويذبل: اسم جبل.

٤ – شرح ديوان زُهير بن أبي سُلمى: ١٠٦-١٠٧.

٥ – المصدر السابق: ١٤٥.

٦ – يا حار: يا حارث (ويقصد الحارث بن ورقاء الصيداوي، من بني أَسَدٍ، وقد سلب إبل زهير، وراعيه يساراً). والداهية: المصيبة الكبيرة. والسوقة: الرعية.

٧ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٥.

المثل العربي: "**يا عَاقِدُ اذكُرْ حَلاًّ**"[١]، ويضرب به مثلا في العواقب. وفي موضع آخر يقول: من يجْعل الضّرغام إلى السَّخْلِ[٢]؟ ومتى كان حكم الله في كرب النّخل"[٣]، فتأثر بالمثل: "**مَتَى كان حُكْمُ اللهِ في كَرَبِ النَّخْلِ**"[٤]، ويضرب فيمن يضع نفسه في موضع لا يستحقه. وهناك أمثلة كثيرة على تضمين الأمثال في مقامته.

**الخاتمة وأهم نتائج البحث:**

من خلال ما سبق يخرج البحث إلى النتائج التالية:

المقامة فن قصصي قديم في الأدب العربي، وتعد الإرهاصات الأولى لفن القصة عند العرب؛ وذلك باعتراف عدد من النقاد الغربيين.

إن السرد لا يقتصر على أدب دون آخر، ولا على شعب دون غيره، وإنما السرد يوجد في كل الأزمنة والأمكنة؛ حيث لا يوجد شعب دون سرد، فهو أحد أهم مظاهر التفكير في التعبير عما يبدعه الإنسان.

تُعد مقامة ابن أبي الخصال قصة مُحكمة في تأليفها، تتسلسل فيها الأحداث بنظام معين، يُنْبِئُ عن إبداعٍ حقيقيٍّ لكاتب قصة ظهر في القرن السادس الهجري بالأندلس، ولم تكن هذه مُصادفة حقاً، وإنما أراد كاتبن (وهو إمام الكُتّاب في الأندلس) أن يُظهر هذا النوع من الأدب في صورة يرقى إليها العقل العربي في الأندلس.

---

١ – مجمَعُ الأمثال: أبو الفضل أحمد الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م، ٤١١/٢، رقم (٤٦٣٨).

٢ – السَخْلُ: ولد الشاة من المَعَزِ والضأن.

٣ – رسائل ابن أبي الخصال: ٤٢٦–٤٢٧.

٤ – مجمَعُ الأمثال، ٢٨٢/٢، رقم (٣٨٧٢).

تتكون البنية السردية في المقامة من السارد (الراوي)، وهو الحارث بن همام، والمسرود (المروي)، وهي المقامة نفسها، والمسرود له (المروي له)، وهو القارئ.

تمثل الشخصيات في المقامة عنصرا هاما من عناصر بناء القصة، وتنوعت إلى شخصيات رئيسة؛ وهي: الراوي: الحارث بن همام، والبطل: أبو زيد السروجي، وشخصيات ثانوية ظهرت أثناء سرد أحداث المقامة.

ينشأ الحوار في المقامة من مجموعة من الحوارات؛ يمتد بين الحارث ابن همام (الراوي)، وأبي زيد السّروجي (البطل)؛ وهذا الأخير أديب مُحتال يعرف كيف يلعب بعقول الناس؛ باستخدام لغته وبلاغته وفصاحته. كما ينشأ الحوار أيضا – ويطول – بين الحارث بن همام والخمّار.

عرض الكاتب أحداث مقامته على نحو متقن، كما برع في تحديد الإطار الزمني والمكاني في كل مشهد من مشاهد قصته. وتعد مقامة ابن أبي الخصال من النمط السردي المتواقت (المتزامن)، من وجهة نظر الموقع الزمني؛ وهو الحكاية بصيغة الحاضر المزامن للعمل.

أكثر ابن أبي الخصال من استخدام المحسنات البديعية في مقامته؛ ليكسب أسلوبه حلاوة، وموسيقاه إيقاعا عذبا، كما تميز أسلوبه في كتابة المقامة بأسلوب الكتابة العالي، أسلوب الخاصة دون سواها، وذلك بما يتماشى مع كونه كاتبا من كبار كتاب الأندلس في القرن السادس الهجري.

## المصادر والمراجع

**أولا: القرآن الكريم.**

**ثانيا: المصادر:**


١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٢- التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار القضاعي البلنسي، تحقيق:عبدالسلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣- خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء المغرب والأندلس): العماد الأصفهاني الكاتب، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، محمد المرزوقي،الدارالتونسية للنشر،ط٢، ١٩٨٦م.

٤- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٩٠م.

٥- ديوان الحطيئة (برواية وشرح ابن السكيت)، تحقيق: د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٦- ديوان العباس بن مرداس السليمي، جمعه وحققه: د/ يحيى الجبُّوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٧- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٨- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت.

٩- رسائل ابن أبي الخِصَال، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر العربي، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

١٠- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد عبد المنعم الحِميري، تحقيق: د/إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
١١- شرح ديوان زُهير بن أبي سُلمى: صنعة أبي العباس ثعلب، قدم له: د/ حنا نصر الحِتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٢- شرح مقامات الحريري: أبو العباس أحمد الشريشي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.
١٣- صبح الأعشى:أبو العباس أحمد القلقشندي،المطبعةالأميرية،القاهرة، ١٩١٩م.
١٤- لسان العرب: تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
١٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
١٦- مجمَعُ الأمثال: أبو الفضل أحمد الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م.
١٧- المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه: د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م.

**ثالثا: المراجع العربية:**

١٨- الأدب المقارن:د/محمد غنيمي هلال،نهضةمصر،القاهرة،ط٩ ٢٠٠٨م.
١٩- البنية السردية في القصة القصيرة: د. عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥م.
٢٠- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: د/ حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٢١- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين): د/ إحسان عباس، دار الشروق، الأردن، ط٢، ١٩٩٧م.
٢٢- تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم):حنّا الفاخوري،دارالجيل،بيروت،ط١٩٨٦،١
٢٣- رسائل ومقامات أندلسية: تحقيق: د. فوزي سعد عيسى، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
٢٤- السردية العربية – بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي: د/ عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٢٥- أبو عبد الله بن أبي الخصال – رئيس كتاب الأندلس، د. فوزي عيسى، بدون دار نشر، ١٩٨٩م.
٢٦- في نظرية الرواية – بحث في تقنية السرد: د/ عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ديسمبر ١٩٩٨م.
٢٧- قاموس رد العامي إلى الفصيح:الشيخ أحمد رضا، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.
٢٨- القصة القصيرة، دراسات ومختارات:د.الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٩٩م.
٢٩- المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة،ومعجم إنجليزي- عربي): د.محمد عناني،الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م.
٣٠- المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية بالقاهرة،مكتبةالشروق الدولية،ط٤،٢٠٠٤م
٣١- موسوعةالسرد العربي:د/عبدالله إبراهيم،المؤسسةالعربية،بيروت، ٢٠٠٨م.
٣٢- نظريةالبنائيةفي النقد الأدبي:د. صلاح فضل،دار الشروق،القاهرة،ط١٩٩٨،١

**رابعا: المراجع المترجمة:**

٣٣- أركان القصة: ا.م. فورستر، ترجمة: كمال عياد جاد، راجعه: حسن محمود، دار الكرنك، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٤- خطاب الحكاية-بحث في المنهج: جيرار جنيت، ترجمة/محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

٣٥- علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد: يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١١م.

٣٦- قاموس السرديات: جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام، طبع ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

٣٧- مقدمة للأدب العربي: روجر ألن، ترجمة: رمضان بسطاويسي، ومجدي أحمد توفيق، وفاطمة قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٨- نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للمتحدين الناشرين، المغرب، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٣٩- النقد البنيوي للحكاية: رولان بارت، ترجمة: انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

**خامسا: المراجع الأجنبية:**

٤٠- A Dictionary of Stylistics: Katie Wales, Published by Routledge, ٢٠١٤.

٤١- A Glossary of Literary Terms: M. H. Abrams, Heinle & Heinle, Printed in the United States of America, ١٩٩٩.

٤٢- A Literary History of the Arabs: Reynold A. Nicholson, M.A, New York, ١٩٠٧, P:٣٢٩.

٤٣- History of Structuralism: François Dosse Translated by Deborah Glassman, Volume I: The Rising Sign, I٩٤٥-I٩٦٦, University of Minnesota Press, London.

٤٤- Routledge Dictionary of Language and Linguistics: Hadumod Bussmann translated and edited by: Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi, London and New York, ٢٠٠٦.

٤٥- Rudiments of Criticism: GREENING LAMBORN, Oxford, London, ١٩١٧, P. ٣٠.

٤٦- The Literature of Al-Andalus: María Rosa Menocal, Cambridge University Press, ٢٠٠٠, P: ١٠٩.